٤٣- باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتيلة: أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائي وصححه.

وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده.

ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺفأخبرته، قال: «هل أخبرت بها أحدا؟» قلت: نعم قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندا؟» فكيف بمن قال: ما لي من ألوذ به سواك.. والبيتين بعد.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا.

الخامسة:أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

الشرح :

قوله : باب قول ما شاء الله وشئت . وهذا الباب كما قلنا فقهه مر بنا في الباب قبل السابق أن الإنسان لا يساوي بين مشيئة الله سبحانه وتعالى ومشيئة المخلوق ، وبين فعل الله وفعل المخلوق .

قولـه :«عـن قتيلـة» رضـي الله عنهـا ، قتيلـة هـذه هـي قتيلـة بنـت صـيفي، صحابية، من المهاجرات الأول.. قال ابن سعد: ليس لها إلا هذا الحديث الذي رواه النسائي، ويوجد عدد من الصحابيات اسمها أيضا قتيلة بل يوجد من الرواة اسمهم قتيلة، يعني كلمة قتيلة من الأسماء المشتركة تطلق على النساء وعلى الرجال، فيوجد غيرها اسمها قتيلة لكن التي معنا هي قتيلة بنت صيفي، من مهاجري جهنية ؛ يعني من جهينة .

قولـه : «: أن يهوديـا أتـى النبـي ﷺ فقـال: إنكـم تشـركون » وهـذا مـن العجائب، اليهود يتكلمون في الشرك.. وهم أعظم الناس شركا، يقولون عزير بن الله، ومع ذلك يأتون للمسلمين يقولون أنتم يا مسلمون تشركون، وفي رواية النسائي في عمل اليوم والليلة قال: تشركون وتنددون ، فالمشركون يعرفون الشرك والتنديد، يقولون للمسلمين أنتم تنددون؟ لماذا؟ أنتم تشركون وتنددون؟ إذا هذا نص في أن ما سيأتي من الشرك، لماذا نص؟ هل نأخذه من كلام اليهودي؟ لا، بل نأخذه من إقرار النبي ﷺ لهذا الكلام، أنتم تشركون وتنددون، يدل على أن الحلف بغير الله تنديد وأن قول القائل ما شاء الله وشئت تنديد ، لأن النبي ﷺ أقر على ذلك وقال.. فأمرهم.. يعني قبل ذلك « **تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة** » والكعبة حلف بغير الله، وما شاء الله وشئت فيه التشريك في المشيئة ، حتى حلف بالكعبة وهي بيت الله أو بالملائكة فهذا من الشرك المحرم ؛ فلا يجوز للإنسان أن يحلف إلا بالله سبحانه وتعالى أو بصفة من صفاته ؛ « **فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة** » هذا يؤخذ منه فائدة : أن الإنسان يرجع للحق ولا يتكبر على الحق وإن أتاه به من أتاه ؛ فلم يقل المسلمون هذا يهودي الذي أتى بهذا الكلام .

قوله : « وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت » هذا هو الجائز؛ والأولى أن يقول ما شاء الله وحده ؛ هذا رواه النسائي وصححه، ورواه الإمام أحمد في المسند في المجلد السادس، ورواه كذلك الحاكم وصححه ابن حجر في الإصابة في ترجمة قتيلة، الحافظ ابن حجر ذكر في الإصابة هذا الحديث في ترجمة قتيلة بنت صيفي وصححه في المجلد الرابع ترجمة ١١٣٩ .

قوله : « **وله** » يعني للنسائي « **عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلا قال للنبي : ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده»**» هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف ليس للنسائي بل : «**جعلت لله ندا؟**» هذا رواه البخاري في الأدب المفرد ، لفظ البخاري في الأدب المفرد «**جعلت**

لله ندا؟ ما شاء الله وحده» هذا رقم٧٨٣ في الأدب المفرد، كذلك رواه أبو نعيم في الحلية قال: «**جعلت لله ندا؟ ما شاء الله وحده**» في حلية الأولياء المجلد الثاني صفحة١١٧، أما الرواية التي ذكرها المؤلف عن ابن عباس «**أجعلتني لله عدلا؟**» هذه رواها أحمد كما في المجلد الأول صفحة٢١٤ ورواها ابن أبي شيبة في المصنف كما في المجلد السادس ٧٤، وفي رواية «**عديلا**» ، وعدلا تساوي مثلا يعني نظيرا أو مثيلا أو مشابها.. وروى ابن ماجة معناه بدون ذكر التنديد، وعزاه الحافظ العراقي للنسائي في الكبرى وحسنه .

ثم روى حديثا عن الطفيل بن الحارث بن سخبرة قال: « **ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها -**» أم عائشة رضي الله عنها - أم رومان - كان تزوجت الحارث بن سخبرة قبل أبي بكر الصديق فأنجبت منه الطفيل . فهو أخو عائشة لأمها، لكن هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من رواية الطفيل، يعني لم يرو لابن ماجة بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف ، وإنما ذكره ابن ماجة مختصرا عن حذيفة ، ثم ساق ابن ماجة إسناده عن الطفيل وقال بنحوه ؛ لفظ ابن ماجة عن حذيفة : أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشاء محمد.. وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أما والله إن كنت لأعرفها لكم قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**» ثم ذكر سنده إلى الطفيل وقال: بنحوه.. فهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هو لفظ الإمام أحمد في المسند المجلد الخامس ص٧٢، وصححه الأرناؤوط وكذلك رواه الطبراني بنحوه في المعجم الكبير المجلد الثامن..

« **عن الطفيل - أخي عائشة لأمها -**» الطفيل بن الحارث بن سخبرة أو الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة على خلاف قال: « **رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود** » وفي مسند أحمد «**على رهط من اليهود**» « **قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله** » هذه مسبة، نسبة الولد لله سبحانه وتعالى، هذا فيه مسبة لله سبحانه وتعالى، فقال اليهود له غيظا وحنقا عليها.. وأنتم.. يعني يا مسلمون.. **{لأنتم القوم}**.. تستحقون المدح.. « **لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد** » إذا اليهود يعرفون الشرك ويعرفون أن الإتيان بالواو؛ ما شاء الله وشاء محمد ؛ لولا الله وفلان ؛ هذا شرك .

قوله :«ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء

محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال: «هل أخبرت بها أحدا؟» قلت: نعم قال فحمد الله وأثنى عليه» والثناء هو تكرار المحامد « **ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»»** قال **«كان يمنعني كذا وكذا»** في رواية **«كان يمنعني الحياء»** أهل العلم أشكل عليهم هذا اللفظ لكن من التفاسير الجيدة فيه: هل الحياء يمنع النبي ﷺ أن ينهى أمته عن هذا الأمر من الشرك؟ فقالوا: إنه لم يكن قد أوحي إليه فيه وكان يكرهه ولا يستعمله فلما كانت هذه الرؤيا رؤيا حق وجاء تصديقها كانت هذه سببا لتشريع الحكم قال: **«كان يمنعني الحياء»** وهذا الحياء ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم بل كان يكرهها ﷺ ويستحي أن يذكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ولم يستح في ذلك ؛ وفيه دليل على أنها من الشرك الأصغر لأنها لو كانت من الأكبر لأنكرها أول ما قالوها .

ابن القيم رحمه الله تعالى له فصل في زاد المعاد جيد في المجلد الثاني ص٣٥٣ يقول فيه: فصل في هديه ﷺ في حفظ المنطق واختيار الألفاظ.. الإنسان يختار اللفظ الذي يتكلم به ، وذكر حديث ابن عباس ـ الذي هو الرجل الذي قال ما شاء الله وشئت ـ فقال: أجعلتني لله ندا؟ فقال: وفي معنى هذا الشرك المنهي عنه قول من لا يتوخى الشرك ؛ يعني أن كثيرا من الناس أو عدد من الناس يقع في هذه الكلمات ؛ يقولون : أنا بالله وبك ؛ يسوي بين الله سبحانه وتعالى وبين المخلوق ؛ وأنا في حسب الله وحسبك؛ وما لي إلا الله وأنت ؛ وأنا متوكل على الله وعليك ؛ وهذا من الله ومنك ؛ هذه الألفاظ كلها ممنوعة ؛ والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ؛ ووالله وحياتك ؛ وأمثال هذا من الألفاظ التي يجعل فيها قائلها المخلوق ندا للخالق ؛ وهذا أشد منعا وقبحا من قوله ما شاء الله وشئت ؛ أشد قبحا من قول الشخص ما شاء الله وشئت .

إذا الإنسان عندما يريد أن يثني على شخص أو يبين له أنه كان سببا في إيصال نعمة إليه يأتي بثم ؛ هذا من الله ثم منك ؛ أنا بالله ثم بك .

المؤلف رحمه الله تعالى في المسائل في ختام هذا الباب يقول: « **قوله □: «أجعلتني لله ندا؟» فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك**

» يا أكرم الخلق: يعني النبي ﷺ ؛ ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم ؛ يقصد البوصيري بهذا مدح النبي ﷺ ويغلو في مدحه .

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
إن لم تكن يوم المعاد آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

وأيضا قال في همزيته المشهورة كلمة أيضا قبيحة يقول:

هذه علتي وأنت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء

يعني يقول للنبي ﷺ هذه علتي وأنت طبيبي ؛ النبي ﷺ ميت كيف يكون الطبيب وكيف يكون المعالج؟! يقول : هذه علتي وأنت طبيبي : فترك رب العالمين سبحانه وتعالى الذي خلق وسوى وبرأ وهو يشفي سبحانه وتعالى السقيم، لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه وتعالى، يقول: هذه علتي وأنت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء ؛ فجعل له الاطلاع على ما في القلوب وعلى ما في الصدور وجعله طبيب العلل وهو ميت ﷺ، هذا من الشرك الأكبر الصريح ؛ إذا كان ابن عباس تكلم في هذا التنديد وقول الشخص ما شاء الله وشئت ؛ ولولا الله وفلان ؛ وقال إن هذا من الشرك وهذا من التنديد فكيف بالذي لم يدع لله سبحانه وتعالى شيئا؟!

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم.. ؟!!

والمقصود بهذا أن الإنسان عندما يحلف لا يحلف بالنعمة لا يحلف بالأمانة كما جاء في الحديث «**من حلف بالأمانة فليس منا**» كما رواه ابن ماجة، فالإنسان لا يحلف بالأمانة ولا يحلف بالنعمة ولا يحلف بالآباء ولا بالأجداد ولا برأس آبائه ولا أجداده ولا نحو ذلك ، وإذا أرد أن يثني على شخص ويأتي به في الكلام فإنه يأتي به بلفظ {ثم} .

وقال في المسائل :« **فهم الإنسان إذا كان له هوى** » فاليهود يعرفون أن هذا شرك ومع ذلك هم يشركون الشرك الأكبر، فيقصد المؤلف بذلك أنه قد يوجد إنسان يعرف الحق لكن لا يلزم من هذا أن يؤمن بهذا الحق وأن يعمل بهذا الحق من أجل الهوى، قد يوجد إنسان عارف الحق... وهذا يوجد كثيرا في الكتاب الذين يكتبون في الصحف ويناقشون ويتكلمون.. يعرفون الحق لكنهم أبعد الناس عن الالتزام وعن الديانة .

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

لقولهم : { أنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد}.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

كفهم اليهود .

الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندا؟» فكيف بمن قال: ما لي من ألوذ به سواك.. والبيتين بعد.

كما قاله البوصيري في بردته .

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا.

لأنه لو كان الأكبر ما منعه شيء .

الخامسة:أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

كما في هذا الحديث وكما في رؤيا إبراهيم عليه السلام .

السادسة: أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

كما هنا ؛ وكما في حديث الأذان وغيره .